المحاضرة الخامسة:

النظرية السلوكية في العلاقات الدولية

تشكل المدرسة السلوكية البوابة الطبيعية التي يمكن من خلالها التعرف على الاتجاهات "العلمية" التي حاولت التصدي لقضايا وموضوعات العلوم الاجتماعية بشكل عام وحقل السياسة بشكل خاص.

نجح السلوكيون في أن يتحكموا بصفة العلم؛ لتصبح مع الوقت مقصورة على مقولاتهم وعلى أدواتهم المنهجية دون غيرها.

تتأسس دعوى احتكار الصفة العلمية لدى السلوكيين على استعارتهم للأدوات المنهجية المستخدمة في العلوم الطبيعية التجريبية، بعد تكييفها لتصبح متلائمة مع العلوم الاجتماعية.

حاول السلوكيون بناء إطار نظري ذي طبيعة منضبطة يتماثل والأطر النظرية السائدة في حقل العلوم الطبيعية، ينهض على افتراضات حول العلاقة بين أزواج من المتغيرات (المتغيرات المستقلة والتابعة)، ويحدد الظروف التي تقع في إطارها هذه العلاقات، ثم يصيغ مقولات احتمالية حول تطور الظاهرة التي تشمل على هذه المتغيرات.

ظهرت **النظرية السلوكية** في العلاقات الدولية كتيار منهجي في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، ساعية لتحويل دراسة العلاقات الدولية إلى علم تجريبي أقرب إلى نموذج العلوم الطبيعية من حيث الدقة والقياس والاعتماد على البيانات، ركزت على ملاحظة السلوك الفعلي لوحدات التحليل (الدول وصانعي القرار) بدل الاكتفاء بالاستدلالات الفلسفية أو القانونية، واعتمدت بشكل واسع على الإحصاء، وبناء المؤشرات، ودراسة الحالات المقارنة، وصياغة فرضيات قابلة للاختبار.

جوهر **السلوكية** هو الانتقال من الحديث المعياري والتأملي إلى تحليل تجريبي منظم؛ أي من سؤال: **كيف يجب أن تكون العلاقات الدولية؟** إلى سؤال: **كيف هي فعليا؟ وما الأنماط القابلة للقياس في السلوك الدولي؟**

لذلك انتقدت المقاربات التقليدية واعتبرتها وصفية ومعيارية أكثر من كونها علمية، ودعت إلى التركيز على المتغيرات القابلة للقياس مثل عدد التحالفات، وتواتر الأزمات، وحجم التبادل التجاري، وأنماط التصويت في المنظمات الدولية وغيرها.

بهذه الخلفية يمكن تقديم السلوكية في المحاضرة باعتبارها:

- نقطة تحول منهجي في الحقل نحو الكمية والتجريب والقياس.
- خلفية مباشرة لصعود الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة التي تبنت كثيرا من افتراضاتها الإبستمولوجية والمنهجية.

*- الاتجاه السلوكي في حقل السياسة:

هيمن التقليد العلمي على التحليل السياسي منذ منتصف القرن 19، الأمر الذي عكس تأثير المنظور الوضعي بشكل كبير في تلك الفترة، فقد لحقت العلوم السياسية ببقية فروع العلوم الاجتماعية، والتي حاولت إثبات عمليتها، بالتأكيد على أن حقل السياسة يجمع بين الصفة التجريبية، التي تعمل على وصف وتحليل وشرح الظواهر السياسية، والصفة الوضعية، بمعنى أنه يفعل ذلك بطريقة صارمة وغير متحيزة وخالية من القيم .

انتشرت أقسام العلوم السياسية في العديد من الجامعات الأمريكية والأوروبية في سبعينيات القرن التاسع عشر؛ حيث بدأ تدريس مقررات في العلوم السياسية في جامعات أكسفورد، وباريس، وكولومبيا، وتأسست الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية APSA عام 1903، وتم البدء بنشر دورية المجلة الأمريكية للعلوم السياسية American Political Science Review.

شهدت هذه الفترة محاولات عديدة لتحويل علم السياسة إلى علم بالمعنى الوضعي، أي إلى تخصص يعتمد على بيانات قابلة للقياس، ويمكن على أساسها اختبار صحة ما يتم صياغته من فروض.

التطور الفعلي لعلم السياسة تأخر حتى خمسينيات وستينيات القرن العشرين، نهاية الج ع 2، حيث ترسخ في الو م أ بالأساس نمط التحليل السياسي المعتمد بشكل قوي للغاية على الأساليب الكمية (خاصة بعد إنشاء **الاتحاد الجامعي للبحوث السياسية والاجتماعية ICPSR** 1962)؛

كما يتيح هذا الاتحاد(ICPSR) إمكانية الوصول إلى أكثر من 14000 دراسة أو استطلاع تم إجراؤها كميا، فضلا عن أكثر من 25000 قاعدة بيانات، كما يقدم فرصا للباحثين للتدرب على الأساليب الكمية؛ تصميم البحوث والتحليل الإحصائي، لتسهيل الاستخدام الفعال للبيانات.

***-السلوكية في العلاقات الدولية:**

تجد **السلوكية في العلاقات الدولية** جذورها الفكرية في **المدرسة السلوكية**، التي أسسها **جون و اتسون– John B. Watson**، وتأثرت بأعمال الفيزيولوجي **جاك لوب - Jacques Loeb.**

كما يعتبر **ديفيد إستون – David Easton**من أبرز أساتذة المدرسة السلوكية الذي تحدّث عن دراسة المؤثرات في النظام السياسي، سواء الداخلية أو الخارجية، متوقفاً عند دراسة البيئة السياسية بما فيها من تعقيدات.

ظهرت **النظرية السلوكية في العلاقات الدولية** في منتصف الخمسينيات وتبلورت بشكل أساسي في الستينيات من القرن العشرين، كجزء مما يسمى بـ"**الثورة السلوكية**" في العلوم الاجتماعية، وخصوصا في العلوم السياسية.

هدف المشروع السلوكي هو إيجاد **نظرية تعليلية تفسيرية وتنبؤية** لظواهر العلاقات الدولية.

أولا: الخلفية التاريخية للنظرية السلوكية Behaviorism :

- تيار ظهر داخل حقل علم النفس في الو م أ، ثم تغلغل في كافة الحقول الاجتماعية الكبرى، ومنها علم السياسة؛
- ظهرت السلوكية النفسية في صورتها الكلاسيكية بالتزامن مع مقال نشره عالم النفس الأمريكي **جون واطسون/ John B. Watson بعنوان: "علم النفس كما يراه السلوكي"**، عام 1913، أكد فيه:

-رفض الأساليب التأملية التي اعتمدها علم النفس الكلاسيكي، والتي تركز على دراسة الوعي، لأنها غير قابلة للملاحظة أو القياس؛

-موضوع علم النفس هو السلوك القابل للملاحظة؛

-الإنسان ككائن يمكن تفسير سلوكه علميا (الإثارة والاستجابة)؛

-نفى مفهوم الوعي أو العقل الداخلي، لأنها مفاهيم ميتافيزيقية لا يمكن دراستها بالتجربة؛

-هدف علم النفس هو التحكم والتنبؤ بالسلوك؛ (هذا المبدأ هو ما ألهم لاحقا السلوكيين في العلوم السياسية والعلاقات الدولية لاستخدام المنهج التجريبي والتنبؤي في دراسة سلوك الدول).

جاءت هذه النظرية كردّ على المناهج التقليدية (**الواقعية والمثالية**)، التي اعتبرها السلوكيون **غير علمية**، لأنها تعتمد على التحليل الفلسفي أو التاريخي دون أدوات تجريبية دقيقة.

من هنا كان استخدامهم للمناهج العلمية خاصة الكمية، تقليدا منهم للعلوم الطبيعية أملا للوصول إلى الدقة في النتائج.

بعد الح ع 2، شهد النظام الدولي **تحديات دولية جديدة**، أدت إلى تغيير بنيته التنظيمية وقواعده السلوكية، وأنماط تفاعلاته السياسية والاقتصادية والثقافية...، وأصبحت تفاعلاته أكثر كثافة وتعقيدا بشكل أصبحت معها النظريات التقليدية السابقة عاجزة عن فهم واستيعاب الظواهر الدولية الجديدة؛

أصبح علم العلاقات الدولية بحاجة إلى جهد نظري ومعرفي إضافي حتى يتمكن من مواكبة هذه التحولات بغرض تحليلها ومعرفة أسبابها وتأثير تفاعلاتها على الأمن والسلم الدوليين.

التحديات الدولية الجديدة			
التحدي الأول	**التحدي الثاني**	**التحدي الثالث**	**التحدي الأخير**
تزايد عدد الدول	**تزايد عدد المنظمات الدولية**	**تزايد عدد الشركات المتعددة الجنسيات**	**التكنولوجيا (الثورة التقنية)**
بعد موجة الاستقلال الوطني وانتماء هذه الدول الجديدة إلى عضوية الأمم المتحدة = ثقل سياسي، وسلوك تأثيري في المنظمة. في هذا التحدي أصبح علم العلاقات الدولية بحاجة إلى معرفة سلوك هذه الدول في النظام الدولي.	متنوعة ومتخصصة وذات طابع عالمي وإقليمي وجهوي، وتؤدي وظائف اقتصادية، عسكرية، أمنية. لها أدوار تأثيرية في النظام الدولي أكثر من تأثير الدول . أصبحت فواعل رئيسية، يتطلب دراسة ومعرفة الأدوار التي تقوم بها.	أصبحت تلعب أدوارا تأثيرية في ظل تفاعلات صراعية أو تعاونية بين وحدات النظام الدولي. الدور التأثيري الذي تمارسه في رسم السياسة الخارجية لدول المركز أو الأطراف، وهي التي تحدد متى تبدأ الحرب ومتى تتوقف.. بحسب مصالحها.	أسهم التطور المذهل في الإعلام والاتصال في عملية الاتصال الحضاري بين الشعوب والأمم (العولمة). أدت العولمة إلى التغيير في آليات الصراع بين الدول من آلية عسكرية –الحرب- إلى آلية دبلوماسية – الإيديولوجيا، الثقافة، الدعاية الإعلامية- .

في ظل هذه التحديات الدولية الجديدة، ولدت المدرسة السلوكية في الخمسينيات، بهدف البحث عن إطار نظري جدد يمكن أن يساهم في فهم وتحليل الظواهر الدولي الجديدة، أكثر من النظريات التقليدية التي استندت على نظم دولية تختلف عن النظام الدولي المعاصر، لأن المبادئ المستنبطة من النظريات التقليدية حول الحياة الدولية، وما يسكله الفرد والجماعات والمؤسسات في الواقع لا تتطابق مع هذه النظريات، مما يجعلها عاجزة على تفسير هذه الظواهر الدولية الجديدة.

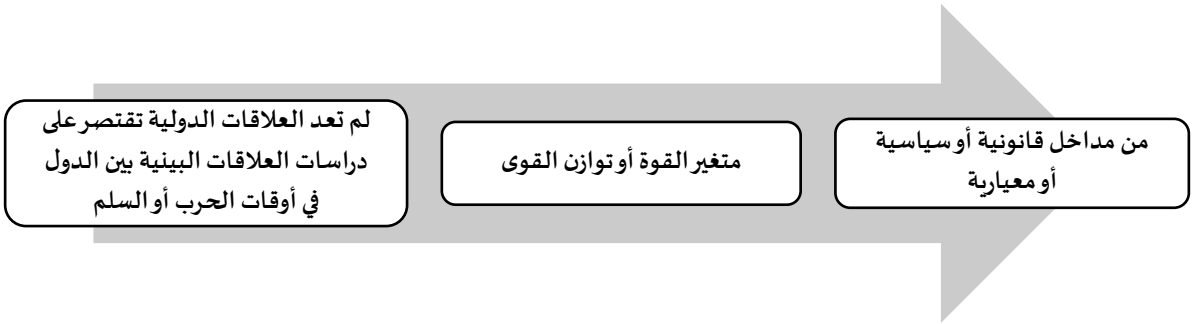

ثانيا- المنطلق الفكري للسلوكية:

اعتبار **سلوك الفرد** جوهر العلاقات السياسية، لذلك تدرس **سلوكيات الدول** التي هي في الأصل والأساس **سلوكيات الأفراد والجماعات**، وهي تتفاعل مع علوم أخرى كالاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والديمغرافيا والأنثروبولوجيا.

تفترض أن **فهم العلاقات الدولية** لا يتحقق إلا من خلال **دراسة السلوك الفعلي** للدول وصناع القرار باستخدام **المنهج العلمي الكمي والتجريبي**، ويسأل السلوكيون من **منظور علمي: ما هي الأنماط السلوكية التي تؤدي إلى الحرب؟ وكيف يمكن قياسها إحصائيا؟**

تربط بين **الظواهر السياسية والظواهر الاجتماعية**، وتجد أنّ السلوك السياسي هو جزء من سلوك اجتماعي عام.

انتقدت المدرستين **التقليديتين: المثالية والواقعية**، من حيث اعتماد الأولى على القانون، والثانية على القوّة، ووجدت عوامل أخرى مؤثرة في مسار العلاقات الدولية إضافة لهذين العاملين.

استفادت السلوكية في بناء نظريات جزئية أو متوسطة في العلاقات الدولية، وذلك انطلاقا من أن **سلوكيات الدول** هي **سلوكيات الأفراد والجماعات** الرسمية وغير الرسمية في تلك الدول.

أي أن السلوكية ترى أن **سلوك الأفراد** يؤثر في تكوين **الجماعات**، وأن **سلوك الجماعات** يؤثر في **الدول**، وأن **سلوك الدول** يؤثر في **المنظمات الدولية والمجتمع الدولي**.

ثالثا- أهم رواد النظرية السلوكية في العلاقات الدولية:

1- ديفيد إيستون/ David Easton (1917-2014):

من أبرز من نقل المنهج السلوكي إلى علم السياسة.

-اعتبر أن النظام السياسي هو نظام من المدخلات والمخرجات Inputs/Outputs، مثل أي نظام علمي قابل للقياس.

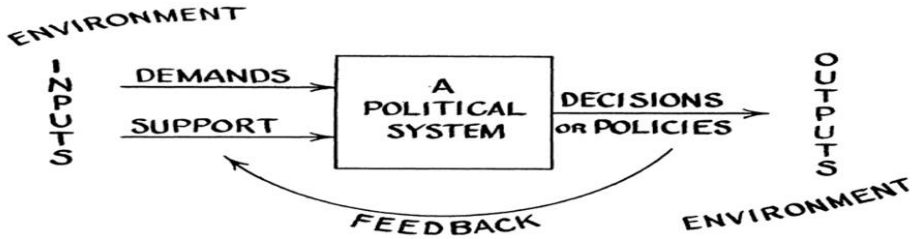

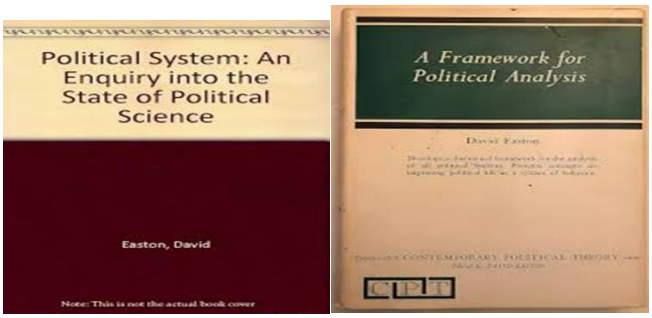

2- جيمس ن. روزناو / James N. Rosenau (1924-2011):

من أبرز من طبق المنهج السلوكي على العلاقات الدولية تحديدا.

- دعا إلى تحويل دراسة العلاقات الدولية من التنظير الفلسفي إلى دراسة علمية للسلوك السياسي الخارجي للدول.
- ركز على تحليل سلوك صُنّاع القرار واستخدام البيانات التجريبية والنماذج الإحصائية لتفسير الظواهر الدولية.

3- كابلان مورتن أ/ Morton A. Kaplan (1921-2017):

- حاول بناء نماذج رياضية لنظام العلاقات الدولية.
- وضع نموذجا للنظام الدولي يتكوّن من ستة أنماط: نظام توازن القوى، النظام القطبي الواحد، النظام الهرمي، إلخ.
- تأثر بفكرة النظام والسلوك في تحليل العلاقات بين الدول.

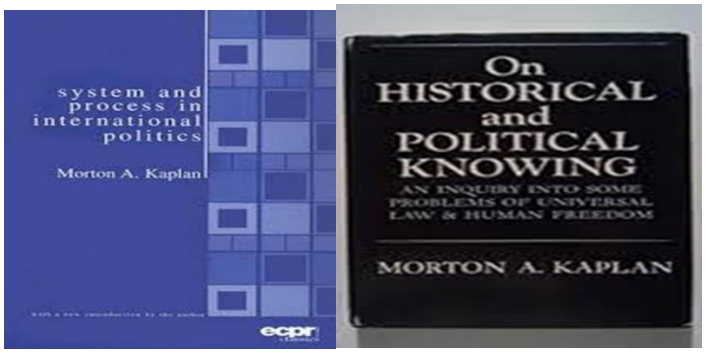

4- كارل دويتش/ Karl W. Deutch (1912-1992):

-ركز على مفهوم **التواصل Communication** كعنصر أساسي لفهم العلاقات الدولية والسلوك السياسي.

-رأى أن درجة التواصل والتفاعل بين الدول تحدد طبيعة النظام الدولي (تكاملي أو صراعي).

-استخدم أدوات رياضية وتحليلية في دراسة العلاقات الدولية.

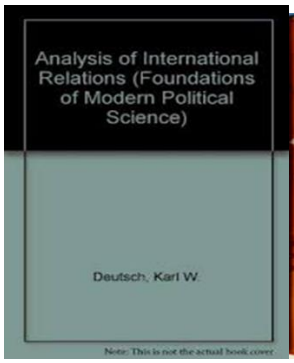

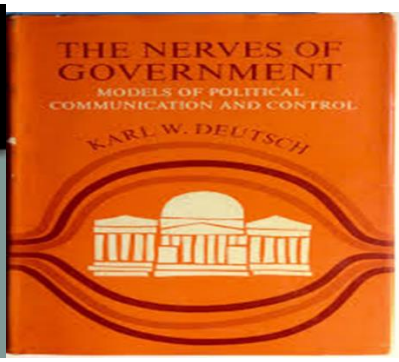

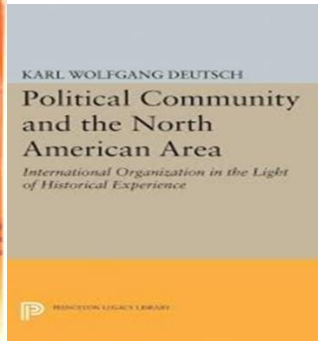

5- هارولد لاسويل/ Harold D. Lasswell (1902-1978):

أوائل من استخدموا المنهج السلوكي في تحليل الاتصال السياسي والدعاية.

قدم نموذج الاتصال: "من يقول ماذا، ولمن، وبأي وسيلة، وبأي تأثير؟"

أسس منهج تحليل السلوك السياسي كعملية اتصالية قابلة للقياس.

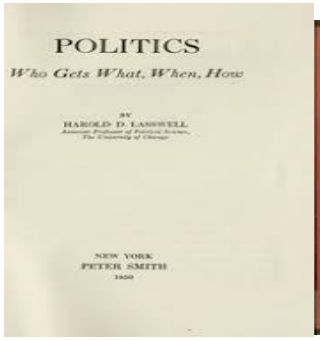

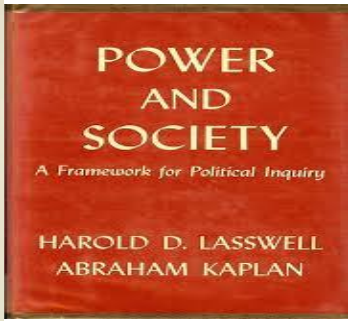

6- تشارلز مريام/ Charles E. Merriam (1874-1953):

- من الجيل الأول الذي دعا إلى تحويل علم السياسة من دراسة قانونية–فلسفية إلى علم تجريبي قائم على السلوك.
- يعتبر أحد من مهد الطريق للثورة السلوكية في العلوم السياسية الأمريكية.

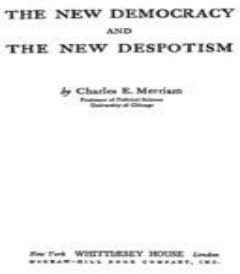

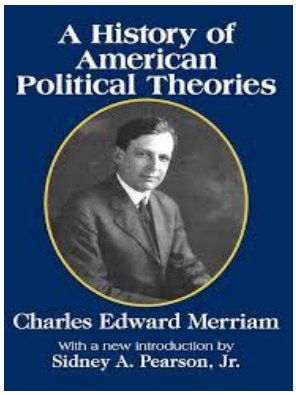

رابعا: أهم النماذج التطبيقية للنظرية السلوكية في العلاقات الدولية:

1- نموذج عملية صنع القرار Decision-Making Model:

هربرت سايمون Herbert Simon، غراهام أليسون Graham Allison، وجيمس روزنو James Rosenau

يقوم هذا النموذج على فكرة أن: القرارات في السياسة الدولية ليست دائمًا "عقلانية" كما تفترض الواقعية، بل تتأثر بعوامل نفسية، وإدراكية، وتنظيمية، وتم تطبيق هذا النموذج في تحليل **أزمة الصواريخ الكوبية (1962)** من خلال نموذج **أليسون** الذي بين كيف تفسر سلوكيات القادة والمؤسسات القرارات المتخذة، ودراسة القرارات الأمريكية في فيتنام كنموذج لانحيازيات الإدراك في السياسة الخارجية.

2- نموذج إدراك صانع القرار Perception and Misperception

روبرت جيرفس Robert Jervis

يقوم النموذج على فكرة أن: سلوك الدول يتأثر بالتصورات الخاطئة للقادة حول نوايا الآخرين، ما يؤدي إلى أزمات أو صراعات غير ضرورية، وتم تطبيق النموذج في: تحليل **سوء الفهم المتبادل** بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي خلال الحرب الباردة.

3- نموذج التفاعل السلوكي بين الدول Behavioral Interaction Model

كارل دويتش

يقوم على فكرة أن: العلاقات الدولية يمكن فهمها من خلال تحليل *أنماط التفاعل* (الاتصال، التحالف، الصراع، المساعدات...) بين الوحدات الدولية، باستخدام بيانات كمية، تم تطبيقه في دراسات دويتش حول **مجتمعات الأمن** Security Communities، مثل تجربة الاندماج الأوروبي.

4- نموذج تحليل النظم السياسية الدولية Systems Analysis

ديفيد إيستون، وتم تطويره لاحقا في العلاقات الدولية من قبل **مورتون كابلان** .

يقوم على فكرة أن: العلاقات الدولية تشكل نظاما له مدخلات (المطالب – الضغوط الدولية) ومخرجات (السياسات – التحالفات – الصراعات) تتفاعل ضمن بيئة دولية ديناميكية، وتم تطبيقه في: تحليل التوازنات والتحولات في النظام الدولي بعد الح ع 2.

تطبيقات **النظرية السلوكية في العلاقات الدولية** ركزت على:

-تحليل **السلوك الفعلي للدول والقادة** بدلا من الافتراضات النظرية المجردة.

-إدخال **المناهج الكمية والتجريبية**.

-فهم **القرارات، والإدراك، والاتصال الدولي** كعناصر حاكمة للتفاعلات الدولية.